

أصحاب الرسالات السماوية: اليهودية
والمسيحية والإسلام.
وأما فيما يتعلق ببحثنا هذا: (خروج
المسيح الدجال) فإنّ الصراع بين
الإصرار على التمسك بحرفية النص
وضرورة الأخذ بالتأويل يكاد يبلغ ذروته
القصوى، كما أنه يقسم الباحثين
والمهتمين - من حيث الفهم والاعتقاد -
إلى فريقين متباينين، وقد يصل الخلاف
بينهما إلى حدّ يجعل القائمين بالحرفية
يُتهمون مخالفينهم بإفساد العقيدة والناس،
وقد يصل أحياناً إلى حدّ تكفيرهم!
ولما كان لا بدّ من وجود (حقيقة) في
الأمر تكون هي الأصل والمرجع
الصحيح الذي يجب أن يؤخذ به، كي
تُفهم - من خلاله - الحقائق ذات الصلة،
لذا فمن الضروري لكلا الفريقين، أن
يُعاودا النظر في موقفهما الاعتقادي من
غير تعصّب أو تصلّب، وذلك بُغية
الوصول إلى الفهم والاعتقاد السليمين
الحاليين من شوائب التقليد الأعمى
المتوارث دون ما تفكّر أو دراسة أو
تمحيص لتبيّن الهدى الصحيح للنصوص
المقدّسة، والتي لا ريب في أنها لم ترد
عبثاً، بل جاءت تحمل رسالة يُقصد منها
الهداية إلى فهمٍ أو ممارسة معيّنة؛ وبذلك
يستتير الفرد والمجتمع بالهدى الصحيح
للنبوءة المقدّسة، ويصير أقرب إلى الإيمان
الحقّ الذي يعتقد المؤمنون أنّ فيه الخير؛
ولا شكّ في أنّ الإيمان الحقّ يجب أن
يَهْدِي إلى العمل الحقّ الذي فيه كلُّ

بين التمسك بالحرفية وضرورة التأويل

بقلم الأستاذ: محمد منير إدلسي *

ثمة صراع قديم بين التمسك بحرفية
النصوص الدينية المقدّسة والضرورة التي
تُحتّم - في كثير من الأحيان - تأويلها
بشكل منطقي يقبله العقل دون أن يكون
ذلك على حساب النصّ الموثّق.
ويتبدّى هذا الصراع حاداً أكثر ما يتبدّى
حول النصوص المتعلقة بالنبوءات
المستقبلية التي وردت في الكتب المقدّسة
(التوراة والإنجيل والقرآن الكريم) لدى



* كاتب من سوريا

الخير للإنسان الفرد ولل بشرية جمعاء.

ضلال الفهم المترتب على التمسك بالحرفية:

مما لا شك فيه أن أحاديث خروج الدجال ومجيء المسيح الموعود عليه السلام قد بلغت حد التواتر ولا يمكن إنكارها، كما بين ذلك العلماء المحققون ومن بينهم القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني في (التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح)^١، ولكن المسلم المصدق بها يجد نفسه مضطراً إلى عدم الأخذ بحرفيتها، لأن من يدرس هذه الأحاديث بمجملها - على ضوء الأسس الإيمانية المبينة في القرآن الكريم والحديث الصحيح - يجد أن الإصرار على فهم هذه الأحاديث الشريفة بالحرفية التي جاءت فيها دون أي توفيق أو تأويل منطقي مدروس على أساس الهدى القرآني الصحيح، يضع الفأس على رأس التوحيد، كما أنه يؤدي بكل تأكيد إلى:

١. التناقض بين بعض هذه الأحاديث وبعضها الآخر.
٢. التناقض بين هذه الأحاديث والقرآن الكريم.

٣. التناقض بين هذه الأحاديث والمنطق العلمي والعقلي السليمين.

وبما أنه يستحيل وجود أية تناقضات في الأحاديث الصحيحة، فلا بد إذن من محاولة فهمها على أسس التأويل التي أقرها

وبينها القرآن الكريم كما سنبيّن ذلك في مكانه من هذا البحث بعون الله تعالى. وليبيان التناقض المترتب على الأخذ بالحرفية نورد الأمثلة التالية:

دخول الدجال مكة وطوافه بالبيت

جاء في عدد من أحاديث رسول الله ﷺ أن الدجال لا يستطيع دخول مكة والمدينة، لأن الله عز وجل قد حرّم عليه دخولهما، ولكننا نقرأ في أحاديث أخرى أن الدجال يدخل مكة ويطوف بالكعبة. جاء في صحيح مسلم ومسنند ابن حنبل في حديث رسول الله ﷺ الحديث التالي، حيث يقول الدجال عن نفسه:

«.. وإني أوشك أن يؤذن لي بالخروج فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، هما محرمتان عليّ كلاتهما».

وكذلك روى ابن ماجه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام الحديث التالي: «.. لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه - أي الدجال - وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته ..».

يتأكد من هذين الحديثين أن الله عز وجل قد حرّم على الدجال دخول مكة والمدينة بالرغم من أنه سيظهر على الأرض كلّها، في حين أننا نقرأ في الحديث التالي أن الدجال يدخل مكة ويطوف بالكعبة أيضاً.

جاء في صحيح البخاري في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال:

«.. وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب لثته بين منكبَيْه. رجل الشعر يقطر رأسه ماءً، واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم. ثم رأيت رجلاً وراءه، جعداً قططاً أعور العين اليمنى، كأشبه ما رأيتُ بآبن قطن، واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال».

(صحيح البخاري كتاب الرؤيا وصحيح مسلم).
أجمع العلماء على أن رؤى الأنبياء حق لأنها من الله، ونجد في هذا الحديث أن الدجال يدخل مكة ويطوف بالكعبة؛ في حين جاء في الحديث الآخر أن مكة والمدينة محرمتان على الدجال ولا يستطيع دخولهما، فكيف يمكن فهم هذا التناقض؟! ثم كيف يمكن لعملاق قدر على الأرض جميعها أن يعجز عن دخول مدينتين صغيرتين منها؟ وما القوى التي ستمنعه في حين أنه قد ملك القوى كلّها، كما تُبين الروايات التي تتحدث عنه؟ ومن الأسئلة الإشكالية التي قد تُثيرها هذه الأحاديث أيضاً - في نظر بعضهم - كيف يدخل الدجال مكة ويلتقي بالمسيح الموعود عليه السلام في حين أن الدجال لا يستطيع مواجهته؟ إذ ورد في

أحاديث الرسول ﷺ أنّ الدجال إذا رأى المسيح الموعود ذاب كما يذوب الملح أو كما يذوب الرصاص، أو انمات كما تنمات الشحمة في الشمس، أو أنه يموت بنفسه لأنه كافر. فقد ورد أنه لا يحل لكافر يجد نفس المسيح الموعود عليه السلام إلا مات. (راجع هذه الأحاديث في بحث الدجال في مصادر الحديث الشريف)

وجاء أنّ القاضي عياض أجاب عن هذا الإشكال فقال: «إنّ رؤيا الأنبياء وإن كانت وحيًا، إلا أنّ منها ما يقبل التعبير». ويؤكد العلامة علي القاري هذا المذهب في الفهم فيقول: «قال التوريشي: إنّ طواف الدجال عند الكعبة مع أنّه كافر، مؤوّل بأنّه رؤيا النبي ﷺ أو من مكاشفاته، إذ كوشف بأن عيسى في صورته الحسنة التي ينزل عليها يطوف حول الدين لإقامة أموره وإصلاح فساد، وأنّ الدجال في صورته الكريهة التي يظهر عليها يدور حول الدين يبغي العوج والفساد» (المرقاة شرح المشكاة ج ٥، باب بين يدي الساعة)

ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّ الدجال: «أعور العين اليمنى». (صحيح البخاري). وجاء في حديث آخر: «الدجال أعور العين اليسرى». (صحيح مسلم). وقد اختلفت الروايات حول شكل عينه العمياء، إذ جاء في الحديث: «كأنّ عينه عنبه طافئة» وفي حديث: «إنه مطموس العين» (مشكاة المصابيح) وجاء في رواية أبي سعيد عند أحمد أنّ الدجال: «جاحظ العين اليمنى كأنها كوكب درّي». فكيف يمكن الأخذ بهذه الأحاديث مجرّفتها مع وضوح التناقض فيها؟ لا بدّ إذن من برهان مقنع.

قدرات الدجال الخارقة

بيّنت أحاديث رسول الله ﷺ أنّ الدجال يتّصف بصفات وقدرات خارقة نورد في ما يلي أمثلة عليها:

يأتي معه بالجنة والنار وجبال من خبز ولحم وطعام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وفي حديث: «الدجال أعور العين اليسرى ... معه جنة ونار» (صحيح مسلم) وجاء في رواية: «معه جبل خبز ونهر ماء» (صحيح البخاري) وفي رواية أنّ: «الدجال يخرج وإنّ معه ماءً وناراً، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تُحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء عذب بارد. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنّه ماء عذب» (صحيح مسلم)

وهل يُعقل هنا أن يأمر رسول الله ﷺ الناس من أمته أن يلقوا بأنفسهم وأهليهم في نار الدجال، باعتبار أنها هي الجنة، لو كانت هذه النار حقيقية؟ وماذا لو أوقد الدجال ناراً حقيقية هائلة ثم أمر المسلمين أن يلقوا بأنفسهم فيها طاعة لرسول الله ﷺ؟! وهل يمكننا تخيل مشايخ المسلمين يفعلون ذلك لكونهم أول من يحرص على طاعة رسول الله ﷺ؟! وجاء في حديث: «أنّ معه الطعام والأنهار» (صحيح مسلم)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وفي حديث: عين الدجال العوراء:

” وهل يعقل هنا أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس من أمته أن يلقوا بأنفسهم وأهليهم في نار الدجال، باعتبار أنها هي الجنة، لو كانت هذه النار حقيقية؟ وماذا لو أوقد الدجال ناراً حقيقية هائلة ثم أمر المسلمين أن يلقوا بأنفسهم فيها طاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! وهل يمكننا تخيل مشايخ المسلمين يفعلون ذلك لكونهم أول من يحرص على طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! “

نقرأ في صحيح البخاري - باب ذكر الدجال الحديث التالي:

«يأتي الدجال .. فيخرج إليه رجل .. فيقول الدجال أرايتم إن قتلتُ هذا ثم أحييته هل تشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه».

يتبين بكل وضوح - من الروايات التي تذكر قدرة الدجال على إحياء الموتى - أنّ الإصرار على الأخذ بالمعنى الحرفي لهذه الروايات يتناقض بشكل مؤكد، ليس مع القرآن الكريم فحسب، بل مع الأسس الإيمانية والتوحيدية في حقّ الله سبحانه وتعالى. فالمعلوم أنّه لا يجبي ولا يُميت إلاّ الله وحده؛ إذ يؤكّد القرآن الكريم ذلك في أكثر من موضع، حيث نقرأ قوله عزّ وجل:

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يونس: ٥٧)

فكيف يمكن لكم أن تضيفوا إيماناً جديداً فترعموا أنّه: (هو يجبي ويميت وكذلك الدجال!)؟!.

ويتحدّى القرآن الكريم المشركين أن يُثبتوا شيئاً من ذلك فيقول:

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الروم: ٤١)

فهل تُحييون على سؤال الله هذا بقولكم: نعم الدجال يفعل ذلك أيضاً؟! وحتى لو قاتم ذلك، فإنّ الله تعالى يختتم الآية منزهاً نفسه عن هذا الشرك القبيح فيقول:

والمنطق العقلي - العلمي. ولما كان الإصرار على الأخذ بالحرفية يؤدي حتماً إلى مثل هذا التناقض والتعارض المرفوضين، فقد ذكرتُ الكتبُ اختلاف العلماء في هذا الشأن، حيث نقرأ: «**اختلف العلماء في هذه الجنة والنار، هل هي حقيقة أم تخيّل**».

وقد مال ابن حبان في صحيحه إلى أنّه تخيّل، واستدلّ بحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين أنه قال:

«كنت أكثر من سأل النبي ﷺ عن الدجال، فقال لي: وما يُضريك منه؟ قلت: لأنهم يقولون إنّ معه جبل خبز. قال: هو أهون من ذلك؛ ومعناه أنّه أهون من أن يكون معه ذلك حقيقة، بل يرى كذلك وليس بحقيقة».

(الإشاعة لأشراط الساعة، ص ١٢٦) وجاء في (المرقاة شرح المشكاة) - باب العلامات بين يدي الساعة «في معرض شرحه لقول رسول الله ﷺ: هو أهون على الله من ذلك قال: قوله هو أهون على الله من ذلك أي أنّ الدجال أحقر على الله تعالى من أنّ يُحقق له ذلك وإنما هو تخيّل وتمويه للابتلاء، فيثبت المؤمن ويذلّ الكافر». (القول الصريح في ظهور المهديّ والمسيح لمؤلفه: نذير أحمد)

إحياء الدجال للموتى وإنزاله للمطر جاء في حديث لرسول الله ﷺ أنّ من فتنّ الدجال أنّه يقتل ويحيي، حيث

«معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر نار تؤجج».

(صحيح مسلم)

كما جاء في حديث:

«معه واديان أحدهما جنة والآخر نار» (أبو داود)

وفي حديث:

«يأتي معه بمثل الجنة والنار» (متفق عليه) وفي حديث:

«ويكون له جنة ونار، فيقول: هذه جنة لمن سجد لي، ومن أبي أدخلته النار»^٣.

وروى الحاكم وابن عساكر عن ابن عمر أنه:

«يسير مع الدجال جبلان، أحدهما فيه أشجار وثمار وماء، وأحدهما فيه دخان ونار. فيقول هذه الجنة وهذه النار».

(الإشاعة لأشراط الساعة ص ١٢٤)

وفي رواية نعيم عن أبي مسعود:

«معه جبل من مرق وعراق اللحم حارّ لا يبرد، ونهر جار، وجبل من جنان وخضرة، وجبل من نار ودخان.

يقول هذه جنتي وهذه ناري. وهذا طعامي وهذا شرابي». (الإشاعة لأشراط الساعة ص ١٢٦)

لقد أثارَت هذه الأحاديث الشريفة - المتعلقة بتملك الدجال للجنة والنار وجبال الطعام من الخبز واللحم والمرق والماء والأنهار - دهشة واستغراب العلماء المتفكرين الذين يرفضون أن يكون ثمة تناقض بين المنطق الديني

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

ثم إذا انتبهنا إلى كلمة (مِنْ) في قوله تعالى (يفعل مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ) نجد هنا للتبعية الذي ينفي إمكانية القدرة على إحياء الأموات بأي شكل كان، لأن هذا الأمر إنما هو من صفات الله وحده؛ فكيف يمكن أن نُشرك به المسيح الأعور الدجال أو غيره كائناً من كان؟!!

ونقرأ في سورة البقرة رد سيدنا إبراهيم على النمرود بقوله:

﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (البقرة: ٢٥٩)

فهل تضيفون إلى هذه الصفة - التي خصّ الله بها نفسه على لسان إبراهيم عليه السلام - صفةً أخرى فتقولون: (ربّي والدجال يحييان ويُميتان)، نعوذ بالله من ذلك؟!!

ومن الأمور التي خصّ الله تعالى بها ذاته كذلك إنزال الغيث من السماء فقال عن نفسه:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾ (لقمان: ٣٥)

فكيف يمكن الإيمان بأنّ الدجال يقدر على أن يأمر السماء فتُنزل الغيث، فيكون بذلك مساوياً لله في قدرته تلك؟!!

وبالرغم من أننا سنعمد إلى بيان حقيقة نبوءات رسول الله ﷺ في بحث الدجال وقدراته؛ إلا أنني ألفت هنا نظر القائلين بقدرة الدجال على إنزال الغيث من السماء أن أحاديث رسول الله ﷺ لم

تذكر قدرة الدجال على إنزال الغيث بل جاء فيها أنه يأمر السماء فتُمطر، فقال:

«وإنّ من فتنته أنه يأمر السماء أن تمطر فتُمطر». (صحيح ابن ماجه والمستدرک للحاكم)

كما جاء في معرض ذكر رسول الله صلى الله عليه للدجال:

«فيأمر السماء فتُمطر». (صحيح مسلم) وثمة فرق هائل بين أن تمطر السماء أو أن ينزل منها الغيث، كما سنبين لاحقاً، فلا تشركوا بالله أحداً.

الدجال يعلم الغيب!

ورد في بعض الأحاديث المتعلقة بالدجال أنّه يتنبأ بأحداث غيبية تتعلق بالمستقبل، كما في الحديث التالي الذي جعل الآخذين بالحرفية يعتقدون أنه يمكن للدجال أن يتنبأ بالغيب، وأنّه مخلوق حيّ باقٍ مذو جد في الأرض! وإليكم الحديث:

تروي كتب الحديث أنّ رسول الله ﷺ جمع يوماً صحابته ليحدثهم حديثاً، فقال:

(يا أيها الناس .. أتدرون لمّ جمعتكم؟) ... لأن تيمماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال.

حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجماد، فلعب بهم

” فهل تضيفون إلى هذه الصفة -

التي خصّ الله بها نفسه على لسان إبراهيم عليه السلام - صفةً أخرى فتقولون: (ربّي والدجال يحييان ويُميتان)، نعوذ بالله من ذلك؟!!

الموج شهراً في البحر، ثم أرفأوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقبتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالت يا أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدّير فإنه إلى خيركم بالأشواق. قال لما سمّت لنا رجلاً فرُفنا منها أن تكون شيطانة. قال فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً، مجموعة يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

قلنا ويلك ما أنت؟ قال قد قدرتم على خبري فأخبروني أنتم، قالوا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة... فقال أخبروني عن نخل بيسان، قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال أسألكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا له نعم. قال: أما إنها يوشك ألا تُثمر. قال أخبروني عن بحيرة طبريا، قلنا عن أي

وعرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً، ورغم أن طول أذن حمار الدجال ثلاثون ذراعاً فقط، فإن سبعين ألفاً من اليهود يستظلون تحتها! كما أن حمار الدجال هذا يأكل الحجارة، ويُخرج من مؤخرته ناراً، ويطير في السماء فتطوى له الأرض منهلاً، منهلاً، ويسبق الشمس إلى مغيبها؛ معه من كل السلاح، تخرج منه الحيات، ويحوض البحر إلى كعبه ولا يغرق، ويسير في الأرض، وطوله ستون خطوة، لونه أحمر، يتقدمه جبل من دخان، ولا يُدرى قبُله من دُبُرِه؛ وينادي الناس إليه بدويٍّ يملأ ما بين الخافقين.. وغير ذلك من الأوصاف العجيبة؟!

ثم أية حمارة (أتان) يمكن أن تلد مثل هذا الحمار المهائل؟ أم أن أمه ستكون حمارة عادية ولدت حماراً كونياً هائلاً؟! وإن لم يكن سيولد من حمارة عادية، فمن أين سيأتي إذن؟!

وفيد هنا أن نأتي بمثال نُبيِّن فيه رفض بعض المفكرين المسلمين أن تُنسب هذه الخرافات إلى سيدنا رسول الله ﷺ، فكان من شأنهم أنهم أنكروا الأحاديث ذاتها، وهذا خطأ لا نوافقهم عليه، بل كان ينبغي أن يفهموا حقيقة النبوءات العظيمة الكامنة فيها من خلال فهم بيان اللغة العربية المتعلقة بالرمز والاستعارة والجاز وغيرها. ومن المفيد هنا الاطلاع على رأيهم في هذا المقام. فمن هؤلاء العلامة محمد فريد وجدي رئيس تحرير مجلة (نور الإسلام) لسان الأزهر سابقاً

أمته من أن يظنوا يوماً أن أحداً سوى الله يمكن أن يعلم الغيب فقال له: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعَيْبُ لِلَّهِ﴾ (يونس: ٢١) كما أمره أن يؤكد بأنه هو نفسه -

وهو رسول الله - لا يعلم الغيب فقال له:

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ (الأنعام: ٥١)

فكيف يصح بعد هذا البيان القرآني أن يعتقد المؤمنون بإمكانية قدرة الأعور الدجال على التنبؤ بالغيب حقاً مُناقضاً بذلك البيان القرآني المبين؟! ثم كيف يمكن لرجل كافر ملعون أن يظل حياً باقياً منذ نوح والنبين في الزمان السابق لرسول الله ﷺ، ثم يظل حياً باقياً إلى زماننا هذا، حتى يبعث الله المسيح الموعود والمهدي المنتظر عليه السلام فيقتله ويقضي عليه وينقذ العالم والجنس البشري من شروره وفتنه؟!

إنَّ الأخذ بجرفية هذا الكلام يضع الفأس على رأس التوحيد - كما قلنا - ويحتم الوصول إلى هذه النتيجة المتناقضة°.

حمار الدجال الخارق!

وأما أوصاف حمار الدجال التي وردت في الأحاديث المتعلقة بالدجال، فلا يمكن لأصحاب العقول المنطقية السليمة أن يأخذوا بحرفيتها بشكل من الأشكال؛ إذ ما هذا الحمار الناري الذي مسافة ما بين حافره إلى حافره مسيرة يوم وليلة، وطول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعاً،

شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال أخبروني عن عين زغر، قالوا عن أي شأنها تستخبر، قال هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال أما إن ذلك خير لهم أن يُطيعوه. وإني مُخبركم عني، إني أنا المسيح الدجال وإني أوشك أن يؤذن لي بالخروج فأخرج، فأسير في الأرض فلا أذع أرضاً إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليّ (...).

صحيح مسلم

نرى من هذا الحديث الصحيح أن الدجال قد تنبأ بأبناء غيبية كثيرة وقد تحققت أكثرها حتى الآن، فكيف يصح لدجال كافر ملعون يضل الناس ويدعو إلى تأليه نفسه أن يعلم الغيب بهذا الشكل وكيف استطاع ذلك؟!

إنَّ المسلمين يؤمنون يقيناً أنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله، وذلك بتأكيد وتعليم القرآن الكريم حيث يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: ٦٦) وأمر الله عز وجل رسوله أن يحذر



وصاحب الموسوعة العربية (دائرة معارف القرن العشرين) الذي ذكر أحاديث رسول الله ﷺ المتعلقة بخروج الدجال ثم قال:

«رأينا في هذا الكلام أنّ الذي يُلقى نظرة على هذه الأحاديث يُدرك لأول وهلة أنّها من الكلام الملقق الذي يضعه الوضّاعون وينسبونه للنبي ﷺ لمقاصد شتى^٦. إنّما لإفساد عقائد الناس، أو لتصغير شأن النبي ﷺ في نظر أهل النقد، فإنّ هذا الكلام لو نُسب إلى أحد الناس حطّ من شأنه، فما بالك لو نُسب لخاتم النبيين وإمام المرسلين.

إنّ في توهين هذا الكلام عدة وجوه لا تقبل المناقشة:

أولها: أنه أشبه بالأساطير الباطلة، فإنّ رجلاً يمشي على رجلين يطوف البلاد يدعو الناس لعبادته، ويكون معه جنّة ونار يُلقى فيهما من يشاء؛ كلّ هذا من الأمور التي لا يُسيغها العقل.. والنبي أجلّ من أن يأتي بشيء تنقضه بداهة النظر، وإلاّ فما هي جنّته وما هي ناره اللتان تتبعانه حيث سار؟ هل هما مرئيتان أم خياليتان؟ إن كانتا مرئيتين فهل جنّته قصور منيفة وحدائق غناء كما يفهمه الناس من مدلول هذه اللفظة؟ إن كانت

كذلك فكيف تسير معه هذه القصور والحدائق إلى حيث توجّه؟ وهل ناره تنور عظيم متأجج بالناس والحجارة على ما يفهمه الناس من معنى هذه الكلمة؟ وهل مثل هذا الأمر مما يصحّ أن يُسيغه عقل بشري ناطق الله به تمييز الممكن من المستحيل، وجعله الفارق بين الحقّ والباطل؟

وإن قيل بأنّ جنّته وناره خياليتان، فهل كان يقتل متّبعه ليرسل بروحه إلى الجنة أو يعده بها وعداً بعد مماته الذي ورد أنّه يلقى بمتّبعه في جنّته فيجدها ناراً، وناره جنة وارفة الظلال، وأنهما يسيران معه حيث سار، وهذا ممتنع عقلاً كما رأيت.

وثانيها: كيف يُعقل أنّ رجلاً أعور مكتوب على جبهته (كافر) يقرؤها الكاتب والأمّي على السواء، يقوم بين الناس فيدعوهم لعبادته، فتزوج له دعوة أو تُسمع له كلمة؟ أيّ إنسان بلغ به الانحطاط العقلي إلى درجة يعتقد فيها بألوهية رجل مشوه الخلقه مكتوب في وجهه كافر بالأحرف العريضة؟ وأيّ جيل من أجيال الناس تروج فيهم مثل هذه الدعوة؟ إنّ العرب كانوا يشكّون في المرسلين

ويستكبرون أن يتبعوا رجلاً يمشي على رجلين؛ ويوّدون لو أرسل الله إليهم ملائكة من السماء، كما نصّ عليه القرآن. وأمّا غيرهم من الأمم، وحتى في أقدم أزمنة التاريخ، فقد كانوا يُظهرون الأنفة من أتباع أمثالهم في البشرية ويوّدون لو أنّ الرسول كان من عالم آخر، كما نصّ عليه القرآن أيضاً. فمن هي تلك الأمم التي كُتب عليها أن تُفتن برجل أعور مكتوب على وجهه كافر فتعتقد فيه الألوهية؟

ثالثها: لماذا لم يذكر القرآن عن هذا المسيح الدجال شيئاً مع خطورة أمره وعظم فتنة كما تدلّ عليه تلك الأحاديث الموضوعّة، فهل يُعقل أنّ القرآن قد ذكر ظهور دابة الأرض، ولا يذكر ظهور الدجال الذي معه جنّة ونار يفتن بهما الناس؟^٨

رابعها: أنّ كون هذه الأحاديث موضوعة يُعرف بالحسّ من الحديث الطويل الذي نُسب إلى نواس بن سمعان ورفعته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يُنبئ بأنّ الدجال يخرج من حلة بين الشام والعراق ويعمل الأعاجيب، ثم يدركه عيسى إلخ إن تُنظر إلى تركيب هذه القصّة نظر

” كيف يعقل أنّ رجلاً أعور مكتوب على جبهته (كافر) يقرؤها الكاتب والأمّي على السواء، يقوم بين الناس فيدعوهم لعبادته، فتزوج له دعوة أو تُسمع له كلمة؟ أيّ إنسان بلغ به الانحطاط العقلي إلى درجة يعتقد فيها بألوهية رجل مشوه الخلقه مكتوب في وجهه كافر بالأحرف العريضة؟ وأيّ جيل من أجيال الناس تروج فيهم مثل هذه الدعوة؟“

“

الخاطئ وأنه ليس ثمة تعارض أو تناقض في هذه الأحاديث.

٢- ذكره الإمام أبو الحسن بن عبيد الله الكسائي في قصص الأنبياء، وأورده المقدسي في «عقد الدرر في أخبار المنتظر» ص: ٢٧٥.

٤- قد يقول بعضهم أنّ النبي عيسى عليه السلام قد أحى الموتى بإذن الله بمعنى أنه قد أقام ميتاً من قبره. وهذا خطأ مبين، إذ أنّ إحياء عيسى للموتى لم يكن بأكثر من إحياء سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم للموتى، حيث يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبيوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال: ٢٤) - أي إذا أحياكم بنور الإيمان والتوحيد الذي نزل عليه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ الأنعام ١٢٣. فالمت هنا هو الكفر والضلال والإحياء هو بعث الإيمان في النفوس؛ وبهذا فإنّ جميع الرسل يحيون الموتى بإذن الله.

٥- سيأتي شرح هذا الحديث في موضعه من الكتاب.

٦- نحن لا نوافق على رأيه هذا بل نؤكد صحة هذه الأحاديث المتواترة وأنها قد جاءت في الصحيح، ولكننا نرفض الفهم الحرفي لها ونؤكد على أنه لا بد من فهمها من خلال أسس التأويل التي وضعها القرآن الكريم كما سنبين في الحلقة القادمة بعون الله تعالى.

٧- ورد في الحديث الشريف (يقراه) وليس (يقراها) والفرق بينهما مهم جداً؛ والحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال إنّ

مادة الدجال) هذا ما قاله العلامة فريد وجدي في (دائرة معارف القرن العشرين)؛ حيث نجد أنّ الإصرار على الأخذ بالحرفية في هذه الأحاديث قد ضلّل حتى العلماء فجعلهم يقولون بالخرافة والخيال، أو يرفضون الأحاديث الصحيحة؛ وكلا الأمرين خطأ وضلال خطير ومبين.

ولو أردنا أن نبين جميع الغرائب والعجائب المرفوضة بجميع المقاييس العقلية والعلمية والدينية وغيرها، والتي تتأتى جميعها عن الإصرار بالأخذ بحرفية هذه الأحاديث الصحيحة، لزمنا أكثر من كتاب ليفي هذا البحث حقّه؛ ولكننا نكتفي بهذه الأمثلة المبينة الواضحة للذين لا مانع لديهم من أن يفهموا!

وندخل الآن في عمق البحث لنبين روعة البيان في هذه الأحاديث العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي جعلها الله له نبوءات خارقة تشهد على صدقه في عصرنا وزمننا الحديث هذا أيضاً، فتكون له عليه الصلاة والسلام إعجازاً نبوياً خارقاً يؤيد العلم ويؤكد العقل^١ والدين، كما سنرى في الحلقات القادمة بعون الله تعالى.

١- راجع كتاب «الإذاعة لأشراط الساعة» لمحمد صديق حسن الفنوجي البخاري، وكتاب «المهدي المنتظر» للأستاذ إبراهيم المشوخي ص ٣٤.

٢- سنعمد إلى حلّ هذه الإشكاليات في حينها ونبيّن أنّ التناقض إنّما ينشأ عن الفهم الحرفي

منتقد لا يخطر ببالك شكّ في أنها موضوعة وقد وضعها واضع لا يفرّق بين الممكن والمستحيل، وبين سنن الله في خلقه وما تولّده الخيالات من الأباطيل، ولكن الدليل الحسي على بطلان هذا الحديث هو أنّ واضعه - لقصر نظره - خيّل له أنّ أسلحة الناس لن تزال القسيّ والسهام والنشاب والجعاب حتى تقوم الساعة؛ ولم يدرك أنه لن يمرّ على وضع هذه الأحاديث نحو سبعة قرون حتى وجدوا البارود والبندق ولم تمرّ ستة قرون أخرى حتى لم يكن للقوس والنشاب ذكر، وقامت مدافع الماكسيم وقنابل اليد والشرانبل والأدخنة السامة والغازات الملتهبة والديناميت الذي يتساقط من الطائرات إلخ.. لم يدرك ذلك كله فصور الأسلحة في آخر الزمان على الحال الذي عهده في زمان، وليس بعد هذا دليل محسوس على أن هذا الحديث محتلق؛ فإن الذي يوحى إليه أكبر من أن يقع في هذا الخطأ العظيم... ويرى القارئ مما مرّ من هذه الأحاديث كلها أنها خالية من روح النسبوة ولا يؤيدها شيء من القرآن^٢ ولا من طريق الإشارة، فلا يصحّ لعاقل أن يعوّل على أمثال هذه الموضوعات فإنّ للأخذ بها حطّة في العقل وذهاب بالتّدين مذهب الخرافات والأضاليل، والمسلمون أمروا أن يتحرّوا الحقيقة في كل شيء، وأن لا يأخذوا بكل ما يقال وإن هدم العقل والدين» (دائرة معارف القرن العشرين

خواطر رمضان

أقبلت، يا رمضان، بالرحمة والرجاء والخير والعتاء. أقبلت والخلق يهفؤ للإله بدعائه شوقاً إليك. فأثرت القلوب شغفاً بين يديك، فرفعت الأكف في خشوع للواحد الأحد أهدت خضوعاً وتضرعاً بين السجود والرُكوع..

فيك أمرُ الشريعة جُلُّه جُمع، وبِكَ سَقَمُ هوى النفوسِ قُطع. وبِكَ الشِّفاءُ تَهَمَسُ بالدعاء، يا ربنا يا سرَّ البقاء، نرتجى منك خير الجزاء، هبْ للفقير فينا رزقك الوفير، ولليتيم قلبك الكبير. يا ربنا يا رافع السماء، للحزين فرحة اللقاء، وللمرضى أملاً في الشفاء.

شهر الهدى.. كان فيك خيرُ الورى ريناً مُرسلةً في الجود والخير ما أجمل، ونزول الوحي في أنثائك جبريل يُراجعه ما تلاً، فذاك بُرهانٌ بين من ربّه تنزل.

أنت شهر التقي.. طهّر فيك التائبون سرائرَ وقلوبا، وأجروا في لياليك دمعةً مسكوبا، فعدت نفوسهم في صبرها أيّوبا.

أنت الشهر المطهر.. زالت به أدران الصدور، وانطفت به نيران الشرور، فمعاصي الأوس صارت في قبور، بحلى الإيمان نبتت زهور، وبخُب الخير فاحت غُطور..

ربنا اغفرْ لأمّتنا في رمضان سبيل الذنوب، ونفّسْ عنها أثقال الكروب، بجاه نبيك المحبوب، محمد ذي النور الموهوب..

يا ربنا، شمسُ الهدى في أمّتنا محجوبة، بذنوب وآثام كسحاب داكنة مركومة، ومظالم أيام وقُرون في ثناياها سير خصال مذمومة، وحقوق مهضومة؟؟

أمة الإسلام، هل شعرت بحال ولوعتي وعتاب، وتألّمي وعذاب، أما سمعت عن ليلة الميعاد، بظهور بدر خادماً الأعتاب، يشدُّ ومدح خير العباد، محمد بروائع الأنشاد، تشفي صدَى الأكباد، وتفيض عين زُهّاد، فاستبشر الأبدال بقدم غلام أحمد الموعود، باليمن والأسعاد، وتمعنوا فيما أفاض الله له من حكمة ورشاد، أما الآخرون فتخاذلوا وتكبروا فتخبطوا، بعد تكذيب وعناد، في بدع وفساد؟؟

يا رمضان، عقدنا عليك كُلاً أمان، فاستجبنا وتركنا كُلاً فأن، وهرعنا نلبي طاعة هاد. رفع الله لواء أحمد عاليًا، وحمى به دين محمد من كل شيطان غَازياً...

بقلم: جمال أغزول (المغرب)

الدجال: (مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه / أي يتبينه / كل مؤمن، كاتب وغير كاتب) - البخاري ومسلم - ومعنى يقرؤه يتبينه وليس يقرأ أحرف الكلمة المذكورة.

٨- قد برهنا في الحلقة الثانية من هذه السلسلة على ورود ذكر الدجال في القرآن الكريم في أكثر من موضع باعتبارها للناس وباعتباره آية من آيات الله، وإن قول العلامة فريد وحدي هنا أن أحاديث الدجال موضوعة إنما هو زعم باطل ويؤكد ذلك ورود هذه الأحاديث في الصحيح وفي مصادر كثيرة مروية عن أوثق الرواة والمحدثين.

٩- العكس هو الصحيح بل هي إعجاز نبي مذهل ولا حول ولا قوة إلا بالله العليم الخبير!

١٠- نحن لا نرى تناقضاً يفصل بين العقل والدين، وإنما نورد هنا كلمة العقل للتأكيد ليس أكثر.